

## الطريق إلى القدس

## دراسة تاريخية في رصيده التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين\*

\* \* أَحْمَدُ إِبْرَاهِيمُ أَبُو شُوك

مِنْهُ

اربط اسم القدس بتاريخ عدد من الرسل والأنبياء الذين تركوا سجلاً حافلاً لمنماذج القيادة الرسالية في الدعوة والموعظة الحسنة إعلاءً لكلمة التوحيد؛ وتمكيناً لقيم الحق والفضيلة في أرض الواقع. إلا أن الصراع الدائم بين البلاغ الرسالي الخالص وتوظيفه البشري المتتنوع قد عرّض تاريخ هذه المدينة المليء بالعظات وال عبر إلى كثير من المزایدات الأيديولوجية فحصرته في تراث ثلاثة من الأنبياء الذين أرسلوا إلى بني إسرائيل، أو في الإساءة إلى بعضهم باستخدام الشواهد التاريخية والعقدية المستقاة من "توراة اليهود"، وإنجيل النصارى "المخْفَى".

فالكتاب الذي بين أيدينا الآن يعطي إشارات موضوعية يمكن من خلالها أن يجعل القارئ يعيد تقييمه لفهم ثوابت العمل التوحيدى ومتغيرات الفعل البشري ومنهجه في الصراع، ولاستيعاب منعطفات العمل السياسي الذي جعل من القدس مسرحاً للتدافع الأيديولوجي العسكري المسلح على مرّ الدهور والأزمان.

\* محسن محمد صالح، الطريق إلى القدس (لندن: منشورات فلسطين المسلمة، رقم ١٥، ط٣، ١٩٩٨)

\* دكتوراه في التاريخ من جامعة بيرجز، أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

صدرت بـمقدمة المؤلف وتقسم الدكتور عماد الدين خليل، وذُبّلت بـقائمة المراجع والمصادر التي استُخدمت في الدراسة. وبجانب موضوعه الشيق الجدير بالإطلاع، يعكس الكتاب حضور البعد الإسلامي عند المؤلف بـتحاباً مع حضور الإسلام الدائم في ساحات الصراع السياسي المسليح كافة على أرض فلسطين، وفي هذا الشأن تأتي هذه المقاربة التاريخية بوصفها منهجاً متفرداً، وتعد سبقاً يندر وجوده في الدراسات التاريخية، والعلمية السابقة التي تعرضت لتاريخ فلسطين بالشرح والتحليل متأثرة بـمناهج الاستشراق أو التغريب القائمة على البعد التجربى وإقصاء البعد الغيبي في تفسير مفردات التاريخ البشري.

وفي مراجعتنا لهذا الكتاب القيم ستتناول بالنقاش أربعة محاور أساسية وذلك حسبما جاء عليه الترتيب الموضوعي لمادته التاريخية، ولا شك أن كل محور سيقدم المعطيات الموضوعية التي تقودنا إلى استيعاب نتائج المحور الذي يليه، وبذلك تصبح نتائج الواقع الذي توصل إليه السلف بمثابة معطيات لواقع الخلف وما اتبثق عنه من أحداث تاريخية. ويمكن من خلال هذا العرض أن نرى إلى أي مدى استطاع الدكتور محسن صالح أن يُوثق رصيد التجربة الإسلامية المترابط بالحلقات والمتداخل الأدوار في أرض فلسطين، وما هي القراءات التي توصل إليها بشأن اختلاف القيادة السياسية وأطراف الصراع، وبشأن تشابه عوامل النجاح والفشل عبر الحقب التاريخية المختلفة التي تعرض إليها في مشوار "الطريق إلى القدس".

### شرعية ميراث الأنبياء وهامة الوجود اليهودي في فلسطين

المحور الأول: يمثل هذا المحور موضوع الفصل الأول الذي أطلق عليه المؤلف "صراع الحق والباطل في أرض فلسطين قبل الفتح الإسلامي"<sup>١</sup>، إذ يحاول من خلاله أن يناقش صراع الأجيال على أرض فلسطين وفق منهج جعل فيه النص القرآني عمدة لتوجيهه مسار حركة الكسب والعطاء البشري، وجارحاً أو عادلاً في التتحقق من صحة الروايات التاريخية المتداولة في كتب التراث والكتب الدينية القديمة التي تأثرت بأيديولوجية الظروف التي دوّنت فيها.

وفي هذا الإطار المنهجي يُوثق المؤلف بالأدلة ويبين طبيعة الصراع بين قيم الحق والباطل، ويبين إلى أي مدى كان فجور اليهود في خصومتهم مع الأنبياء الذين

أرسلوا إليهم بدين الحق، وكيف كانوا أكثر جرأة في اهانتهم بالغش والكذب والزنا واغتصاب حقوق الغير وقتل الأبرياء، وكيف كانوا (وما برحوا) يحتاجون أن أرض فلسطين هي ميراث أجدادهم من الصديقين والشهداء وهي الأرض التي وعدوا بحق تملّكها والسيطرة عليها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وتعود قضية الميراث هذه قضية محورية في مقاربة المؤلف، بحججة أنها مؤسسة على خطاب موسى عليه السلام لقومه، إذ يقول: ﴿يَا قَوْمَ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنَقْلِبُوا خَاسِرِينَ﴾<sup>٢</sup>، ويظهر من هذا الخطاب المosoوي أن شرعية الميراث مرهونة بمدى التزام الوارثين بالتوحيد وقيم المنهج الرباني، ولا تسندها رابطة دم ولا صلة قرابة، وأن عمقها التاريخي مستمد من دعوة إبراهيم والوارثين من ذريته عليهم السلام، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أُولَئِكَ النَّاسَ يَأْبَرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ظَاهَرُوا عَلَىَ اللَّهِ وَلَيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>٣</sup>. ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مَلَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْتَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمَنِ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّىَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوْتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أَمْ كُنْتُمْ شَهِدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لَبْنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ أَبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَتَحْنُنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>٤</sup>.

هكذا أسس مؤلف "الطريق إلى القدس" فرضياته العلمية على الشواهد القرآنية ، ثم خلص إلى أن "أمة التوحيد هي أمة واحدة من لدن آدم عليه السلام حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وأنبياء الله ورسله وأتباعهم هم جزء من أمة التوحيد، ودعوة الإسلام هي امتداد لدعوتكم، والمسلمون هم أحق الناس بأنبياء الله ورسله وميراثهم"<sup>٥</sup>. وتتجلى شرعية

<sup>٢</sup> سورة المائدة، الآية ٢١.

<sup>٣</sup> سورة آل عمران، الآيات ٦٨-٦٧.

<sup>٤</sup> سورة البقرة، الآيات ١٣٣-١٣٠.

<sup>٥</sup> الطريق إلى القدس، ص ١٧.

هذا الميراث في الخطاب القرآني الآمر لل المسلمين جميعاً : ﴿قُولُواْ عَامَّا بَاللَّهِ وَمَا أُنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ التَّيْمُونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>٦</sup>.

وأما فيما يختص بالسلطة السياسية في أرض الأنبياء والرسل فرأى المؤلف يتبلّر في أن سلطنة اليهود على أرض فلسطين كانت سلطنة محدودة من حيث الحيز المكاني، تضيق قاعدهما عن فلسطين المعروفة بحدودها الحالية، وأن سعادتهم على الأرض نفسها كانت سيادة منقوصة القرار ومدار حركتها السياسي كان خاضعاً خضوعاً تماماً لنفوذ مراكز القوى في الإقليم. وإن بعد اليهود عن المنهج الرسالي ورکونهم إلى فعل المنكرات هما من أهم العوامل الأساسية التي قادت إلى تشریدهم من أرض فلسطين وتشتتهم في أصقاع العمورة. وعملية التشريد نفسها تمت على أيدي الرومان الذين شنوا عليهم حرباً ضروسأً طاحنة في القرن الثاني للميلاد، وحرموهم من دخول القدس، وفتحوا أبواب المدينة للمسيحيين الذين لا ينتهيون إلى أصول يهودية، وظل هذا الحكم قائماً حتى حلول القرن التاسع عشر الميلادي.

## أرض فلسطين والفتح الإسلامي

يؤكد هذا المحور أن أرض فلسطين لها واقع تاريخي وعقدي خاص في وجدان المسلمين، لأنها تعني بالنسبة لهم موطن المسجد الأقصى ثالث المساجد مكانةً ومتولةً في الإسلام بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي، والقبلة الأولى التي ولـ إليها الرعيل الأول من المسلمين وجوههم تقرباً إلى الله زلفى قبل أن يأمر الله بأن يولـوا وجوههم شطر المسجد الحرام، وهي الأرض التي أسرى إليها الرسول ﷺ ثم عرج منها إلى السماء، زد على ذلك أنها ميراث الرسل والأنبياء الذين حملوا راية التوحيد والذين جعل الله التصديق بهم وبالكتب التي أنزلـت عليهم ركناً من أركان الإيمان في الإسلام.

بهذه الكيفية يحاول المؤلف أن يثبت العمق التاريخي والعقدي لقضية ارتباط المسلمين الوثيق بأرض فلسطين، داحضاً بذلك النظرة السياسية التي تقلص حجم كينونتها العقدي

وتحلّلها قضية مرتبطة بنضال شعب معين، وأهل رقعة جغرافية معلومة يسعون لتأسيس دولة قُطريّة تعطّلهم حق التمكّن في الأرض، وحق توفير متطلبات العيش الكريم، ثمّ حق شرعية التفاعل والانفعال بقضايا النظام العالمي الجديد.

وفي ضوء هذه التبصّرة أَسَسَ الكاتب قوله أن الفتح الإسلامي لأرض فلسطين جاء تعبيرًا عن ارتباط المسلمين العقدي والوجداني بقدسيتها، وتَأكِيدًا لإيمانهم بأهمية الجهاد الذي شرّع لحماية رأيَّة التوحيد وإزالة كل الموانع السياسية التي توقف دون بث الدعوة الإسلامية بالحكمة والوعظة الحسنة. ونذكر من ضمن الشواهد التي أَسَسَ عليها المؤلفة مقاربته رسالة الخليفة الراشد أبو بكر إلى يزيد بن أبي سفيان عند خروجه مُجاهدًا إلى الشام، إذ يقول له في هذه الرسالة التاريخية: "يا يزيد إبني أوصيك بتقوى الله وطاعته والإيثار له والخوف منه وإذا لقيت العدو فأظفركم الله بهم فلا تغلل، ولا تمثل، ولا تغدر، ولا تجبن، ولا تقتلوا ولیداً، ولا شيئاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تحرقوا نخلاً... ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تعقروا بكيمة إلا ل makaَلة. وسترون بقوم في الصوامع يرعنون أنهم حبسوا أنفسهم الله فدعوهن وما حبسوا أنفسهم له. فإذا لقيتم العدو من المشرّكين فأدعوهن إلى ثلات خصال فإن أجابوكم فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ... ادعوهن إلى الإسلام ... فإنهم أبوا أن يدخلوا الإسلام فادعوهن إلى الجزية، فإنهم فعلوا فأقبلوا منهم وكفوا عنهم، فإنهم أبوا فاستعينوا بالله عليهم فقاتلواهم إن شاء الله، ولينصرن الله من ينصره ورسله بالغيب".<sup>٧</sup>

وعلى هدي هذه الرسالة والرسائل الأخرى المشابهة لها في المضمون والمُهـدـف يـؤـكـدـ الكـاتـبـ وـجـهـةـ نـظـرـ الـمـسـلـمـينـ القـائـلـةـ بـأـنـهـمـ لـمـ يـخـرـجـوـاـ مـنـ دـيـارـهـمـ لـتـحـقـيقـ مـنـافـعـ مـادـيـةـ، أوـ كـسـبـ شـخـصـيـ، أوـ عـدـوـانـ آـثـمـ عـلـىـ الـجـيـرانـ، أوـ إـكـراـهـاـ لـلـنـاسـ عـلـىـ الدـخـولـ فـيـ دـيـنـ الـإـسـلـامـ بـجـدـ السـيفـ وـأـسـنـةـ الرـماـحـ، بلـ عـلـىـ النـقـيـضـ جـاءـتـ حـرـكـتـهـمـ الجـهـادـيـةـ تـدـافـعـاـ ضدـ الـأـنـظـمـةـ السـيـاسـيـةـ الـتـيـ تـحـرـشـتـ بـالـدـوـلـةـ إـلـاـسـلـامـيـةـ الـوـلـيـدـةـ وـرـفـضـتـ مـبـدـأـ الدـعـوـةـ إـلـىـ دـيـنـ الـإـسـلـامـ وـرـفـعـ رـأـيـةـ التـوـحـيدـ. فـاـلـجـهـادـ بـهـذـهـ الـكـيـفـيـةـ جـاءـ حـمـاـيـةـ لـسـيـادـةـ الـدـوـلـةـ الـمـسـلـمـةـ وـتـعـيـدـاـ لـقـنـوـاتـ الدـعـوـةـ وـتـنـشـيـطـاـ لـآـلـيـاتـ التـوـاـصـلـ بـيـنـ الـمـسـلـمـينـ وـغـيـرـهـمـ مـنـ الشـعـوبـ الـأـخـرـىـ.

ويستشهد الدكتور محسن على ساحة الإسلام بتجاه أصحاب البيانات الأخرى بنص الصلح الذي مهّره الخليفة الراشد عمر بن الخطاب مع أهل القدس بالجایة، والذي تقرأ مفرداته كما يلي: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَعْطَى اللَّهُ عَبْدُ اللَّهِ عَمَرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ إِيلَيَّاَ [القدس] مِنَ الْأَمَانِ، أَعْطَاهُمْ أَمَانًا لِأَنفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَلِكَنَائِسِهِمْ وَصَلَابَهُمْ وَسَقِيمَهُمْ وَبَرِيعَهُمْ وَسَائِرَ مُلْتَهَا، أَنَّهُ لَا تَسْكُنُ كَنَائِسِهِمْ لَا تَهْدِمُ لَا يَتَقْصُّ مِنْهَا لَا مِنْ خَيْرِهَا لَا مِنْ صَلَبِهِمْ لَا مِنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَلَا يَكْرَهُونَ عَلَى دِينِهِمْ، وَلَا يَضَارُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلَا يَسْكُنُ إِيلَيَّاَ مَعْهُمْ أَحَدٌ مِنْ الْيَهُودِ. وَعَلَى أَهْلِ إِيلَيَّاَ أَنْ يَعْطُوا الْجَزِيرَةَ كَمَا يَعْطِي أَهْلَ الْمَدَائِنِ. وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا الرُّومُ وَاللَّصُوصُ، فَمَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ آمِنٌ عَلَى نَفْسِهِ وَمَا لَهُ حَتَّى يَلْغُوا مَأْمَنَهُمْ، وَمَنْ أَقَامَ مِنْهُمْ فَهُوَ آمِنٌ وَلَهُ مُثْلُ مَا عَلَى أَهْلِ إِيلَيَّاَ مِنَ الْجَزِيرَةِ... وَعَلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ عَهْدُ اللَّهِ وَذَمَّةُ رَسُولِهِ وَذَمَّةُ الْخَلْفَاءِ وَذَمَّةُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَعْطَوْهُمْ مِنَ الْجَزِيرَةِ".<sup>٨</sup>

ثم بعد ذلك ينتقل المؤلف إلى الحديث عن كيفية انتشار الإسلام في أواسط أهل فلسطين الذين دخلوا في دين الله أفواجاً قناعة منهم بشرعية الدين نفسه، واقداءً بسماحة الدعاة وتقديرًا لقيم السلوك الإنساني وآدابه الرسالية التي استمدوها من ثوابت عقيدة التوحيد. وفي هذا الإطار يتطرق المؤلف إلى ذكر عدد من الصحابة والتابعين الذين بذلوا الجهد لترسيخ قيم الدعوة الإسلامية على أرض الأنبياء والرسل أمثال عبادة بن الصامت، أسامة بن زيد بن حارثة، عبد الرحمن بن غنم الأشعري، سفيان الشوري، وأبن شهاب الزهرى. ويضيف إلى قائمة هؤلاء رهطاً من الأئمة الذين عاشوا على أرض فلسطين أو زاروها أمثال الإمام الشافعى، إبراهيم بن أدهم، الليث بن سعد، أبو بكر محمد الطرطوشى، أبو بكر الجرجانى، وأبن قدامة المقدسى.

ويؤكد أنه بفضل هؤلاء الدعاة جمياً وغيرهم من لم يسمح المجال بذكر أسمائهم سادت عقيدة التوحيد في أرض فلسطين ووطدت قيم الدين والدولة التي ظلت إدارتها إلادرة الخليفة الراشدة في المدينة، ثم تحت سلطان الأمويين في دمشق، ومن بعدهم آلت إلى العباسين في بغداد، ثم الفاطميين في القاهرة، ونماذج الفاطميين في السيادة عليها السلاجقة الأتراك الذين

حدث الغزو الصليبي في عهدهم وسقطت القدس في أيدي العزة عام ١٠٩٩ ميلادية.

### **المسلمون في مواجهة الصليبيين والتنار**

الثالث: استهل المؤلف هذا الفصل بمعطيات تاريخية تبلورت نتائجها في أن الحروب الصليبية كانت استجابة لظروف سياسية وعقدية واقتصادية ارتبطت إلى حد كبير بواقع الحال في العالم المسيحي الذي كان في حالة تأرجح بين السلطة الكنسية في روما والسلطة السياسية في القسطنطينية، وبالوضع السياسي في حاضر العالم الإسلامي التي كانت تعاني من إفرازات الصراع العقدي بين الشيعة والسنّة، وتنازع القيادة السياسية بين العباسين في بغداد والفاتميين في قاهرة المعر لدين الله والسلاجقة الأتراك في نقية (آسيا الصغرى). وأخيراً تبلور هذا الصراع في رجحان كفة السلاجقة الأتراك الذين نجحوا في توسيع نفوذهم السياسي على حساب خلفائهم العباسين، وخصوصهم الفاطميين الذين انتزعوا منهم السيادة على الأراضي المقدسة في فلسطين، والبيزنطيين الذين هُزموا في واقعة ملاذكرد عام ١٠٧١م وقدوا جزءاً من أملاكهم في آسيا الصغرى. وبذلك شكلت هزيمة الجيوش البيزنطية تحدياً حقيقياً في وجه القسطنطينية وأثارت الذعر في أوساط رجال الكنيسة في روما. وتدرجياً قادت حصيلة هذا الوضع السياسي إلى إفراز نوع من تقارب وجهات النظر بين روما والقسطنطينية، دفع كليهما إلى تناسي خلافهما السياسي والبحث عن صيغة تحالف تمكنهما من الوقوف في وجهة المد الإسلامي وأعادت أملاكهم "المفقودة" في الشرق الأوسط بعد أن فقدت القيادة الإسلامية وحدتها العقدية وتماسكها السياسي.

ويجمع المؤرخون وبينهم مؤلف الطريق إلى القدس أن أول خطوة عملية في تقارب جهات النظر بين أهل السياسة والقدسية تمثلت في الخطاب الذي بعثه الإمبراطور أليكسيوس كمينوس (١٠٨١-١١١٨) إلى روما، طالباً مساندة الكنيسة في صراعه ضد التوسيع الإسلامي في المنطقة. وقد وجدت هذه الدعوة قبولاً حسناً عند الإدارة العليا للكنيسة الكاثوليكية في روما، وبدأ يأخذ هذا القبول شكله المؤسسي في عهد البابا أوربان الثاني (١٠٨٨-١٠٩٩) الذي عرض قضية التصدي للنفوذ الإسلامي في اجتماع عقده رجال الكنيسة في مجمع كيرمونت (فرنسا) في السادس والعشرين من

نوفمبر سنة ١٠٩٥ م. وفي هذا الاجتماع دعا البابا جموع النصارى إلى الحرب المقدسة ضد المسلمين الذين "دنسوا موطن ميلاد المسيح في فلسطين وأساءوا معاملة قوافل الحجاج"، وجعل الصليب شعاراً لهذه الحرب المقدسة التي تمثل إرادة الله، وتحرير الأرضي المقدسة هدفاً أسمى للمحاربين، ثم بدأ حملته التعبوية بإصدار صكوك الغفران التي كانت بمثابة براءات تؤكد قدسيّة الصراع، ورغبة الإرادة الإلهية العليا في غفران ذنوب المحاربين وخطاياهم. ولا شك أن هذه الدعوة قد وجدت تأييداً واسعاً في أوساط قطاعات المجتمع الأوروبي التي ساندتها وفق منطلقات سياسية واقتصادية غالب عليها الدافع الديني الذي أعلنه البابا في مجمع كيرمونت وكافة المحافظين الدينية التي عقدتها الكنيسة في الفترة ما بين ١٠٩٥ - ١٠٩٦ م.

وبعد أن استعرض المؤلف الدوافع الدينية والسياسية التي قادت إلى اندلاع الحروب الصليبية انتقل إلى متابعة سير الحملة الصليبية الأولى، وذكر أسماء القادة الذين أسهموا في تنفيذها على صعيد الواقع أمثال روبرت النورماندي (Rebert of Normandy)، وريموند دي سانت جلس (Saint Gilles)، وجود فري دي بولون (Godfreyde Boulillon)، ثم تطرق بعد ذلك إلى الصراعات الداخلية التي حدثت بين الحلفاء والصعوبات التي واجهها المغاربة حسب التضاريس السياسية والبيئية التي شكلت واقع المناطق التي مرروا بها إلى أن طرقوا أبواب حاضرة السلاغقة في نيقية، ودخلوا معهم في حرب مكشوفة وغير متكافئة الأطراف. ثم يُبيّن المؤلف كيف مهدت هزيمة الأتراك في واقعة دورليم (Dorylaem) عام ١٠٩٧ الطريق للصليبيين ليسيطوا سلطتهم على مدينة الرها التي كانت تعد من أهم معاقل المسيحيين في الشرق الأوسط، وكيف أسسوا عدداً من الأحلاف السياسية مع القادة المحليين الذين اسقطوا من قاموسهم السياسي مصطلح الجهاد، وآثروا الصلح ثناً لحفظ كياناتهم السياسية. ويجسد هذا التخاذل قول المؤلف: "وفي ربيع ١٠٩٩ دخلوا [أي الصليبيين] مناطق فلسطين فمروا بعكا التي قام حاكمها بتمويل-[هم]، ثم قيسارية ثم أرسوف، ثم احتلوا الرملة واللد وبيت لحم، وفي ٧ يونيو ١٠٩٩ بدأوا حصار بيت المقدس، وكان حاكمها قد نصبه الفاطميون ويدعى افتخار الدولة، وتم احتلالها في ١٥

يوليو لسبع بقين من شعبان ٤٩٢ هـ. ولبث الفرج أسبوعاً يقتلون المسلمين ... وقتلوا بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين، وعلمائهم وعُبادهم".<sup>٩</sup>

ويؤكّد المؤلّف أن سقوط القدس لم يحظ برد فعل موازٍ في البلاط العباسي، وإن الفاطميين قد باركوه وقت حدوثه والشاهد على ذلك أن قيادتهم السياسية قد اتصلت بـ"الفرنج" وهم يزحفون باتجاه بيت المقدس عارضة عليهم التحالف ضد السلاجقة وتقاسم النفوذ في الشام".<sup>١٠</sup> وبعد قيام المالك الصليبي في الرها وانطاكيَا والقدس وطرابلس وأدرك قادة القوى الإسلامية المتصارعة (الفاطميون، العباسيون، السلاجقة) أن الاحتلال الصليبي لم يكن مجرد احتلال عارض يمكن أي طرف منهم من تصفية حساباته السياسية مع الطرف الآخر، بل هو احتلال استراتيجي ربما يقضي على القوى المتنازعة نفسها. ومن هنا دخل الفاطميون والسلاجقة في حركة جهاد فاترة ضد الصليبيين، افتقرت إلى التنظيم الجيد والإعداد الحسن. وأن فشلها قاد إلى مزيد من السيطرة الصليبية على المنطقة مولداً شعوراً بالإحباط بين أوساط المسلمين الذين فقدوا الثقة في العباسيين والفاطميين والأتراء السلاجقة، إلا أنهم لم يفقدوا الأمل في أن يقيض الله لهم الفرج على يد قائد مسلم يدعوهم إلى الجهاد ويحول هزيمتهم إلى نصر.

وفي هذا الجو المفعم بالإحباط والأمل يقول الدكتور محسن صالح: "افتتحت صفحة جديدة للجهاد ضدَّ الصليبيين بظهور عماد الدين زنكي بن أقسنقر وبده عهد الدولة الزنكية في الموصل وحلب".<sup>١١</sup> ومن وجهة نظره أن عماد الدين زنكي كان يمثل نموذجاً للقيادة الإسلامية المؤمنة بحمل راية التوحيد والجهاد لحماية العقيدة والدعوة الإسلامية. وأن سيطرة عماد الدين الزنكي على حلب قد مهدت الطريق لقيام قاعدة سياسية-عسكرية صلبة، يمكن أن تنطلق منها فيالق الجهاد وتتوحد حولها كلمة المسلمين. وبهذه الكيفية يرى المؤلّف أن فترة الزنكيين قد أعادت ثوابت البناء الإيماني والتربوي والثقافي إلى نصابها، ورسّخت قواعد العمل الجهاد

<sup>٩</sup> الطريق إلى القدس، ص ٩٢.

<sup>١٠</sup> الطريق إلى القدس، ص ٩٧.

<sup>١١</sup> الطريق إلى القدس، ص ٩٧.

العسكري ضد الصليبيين، وشكلت خطوة إيجابية تجاه الوحدة الإسلامية. وأسهم في تكين هذه الثوابت كل من عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود، أما الشخص الذي جنى ثمارها وحولها إلى واقع محسوس وملموس فهو صلاح الدين الأيوبي، الذي وحد المسلمين تحت راية الخلافة العباسية في بغداد بعد أن ألغى الخلافة الفاطمية في القاهرة، وأعاد صياغة الإنسان المسلم المجاهد وبناء الاقتصادي الحربي، ثم جعل من سوريا ومصر قاعدي إمداد عسكري وحربي دائمتين، وأنجراًًا وضّح معلم استراتيجيته المتمثلة في طرد الصليبيين وإعادة موازين القوى لصالح المسلمين في المنطقة. تدريجياً قاد هذا الإعداد الحسن وهذا التنظيم الجيد إلى النصر الكاسح الذي حققه المسلمون في واقعة حطين عام ١١٨٧، وإلى تحرير القدس الذي تم في السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣ هـ الموافق الثاني من أكتوبر سنة ١١٨٧ م.

ثم يبيّن المؤلف كيف أثار النصر الذي حققه صلاح الدين حفيظة مهندسي الحروب الصليبية في الغرب، ودفعهم إلى إعداد حملة صليبية ثالثة قادها ملوك ألمانيا، وفرنسا، وإنجلترا بغية إقصاء الفوذ الإسلامي عن الأرضي المقدسة. وبعد سلسلة من المواجهات العسكرية توصل الطفان المتصارعان إلى عقد صلح الرملة الذي مهره ريتشارد قلب الأسد وصلاح الدين الأيوبي في الحادي والعشرين شعبان ٥٨٨ هـ الموافق الفاتح من سبتمبر ١١٩٢. وبموجب هذا الصلح عُقدت بين الطرفين هدنة لمدة ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر، وسمح للصليبيين بالسيطرة على الساحل الممتد من يافا إلى عكا، ثم أقر الصلح حق النصارى في زيادة القدس وحرية الحرفة التجارية بين الطرفين.

وبهذه الكيفية بمحسّد ميراث الحملة الصليبية الأولى على أرض فلسطين في شكل أمانة مقدسة في عنق الصليبيين يجب الحافظ عليها، وعلى ذات النسق كان ميراث صلاح الدين الأيوبي يمثل حقاً إسلامياً يجب أن يصان بوساطة الوراثين الذين حملوا راية الجهاد من بعده. وعلى حد قول المؤلف فإن هذا الواقع المشحون بروح التآمر والتنافس جعل بيت المقدس والأرض المقدسة عرضة للترازع الدائم الذي تدثر "مساومات عدّد من حكام البيت الأيوبي مع الفرنج مقابل عقد تحالفات معينة"<sup>١٢</sup>. لذا إن القتال بين الخصوم كان يعبر إلى حد كبير

عن تأرجح موازین القوى في المنطقة، الأمر الذي جعل القدس وأجزاءً من فلسطين تسقط في أيدي الفرنج أكثر من مرة دون مبررات مشروعة، بل نتيجة لدافع شخصية تدثر معظمها بلواجع السلطة وحب النفوذ السياسي.

وظل الواقع هذا السياسي متراجحاً بالكيفية التي أشرنا إليها إلى أن ظهر الماليك على الساحة السياسية (١٢٥٠-١٤١٧) وفرضوا سلطانهم علي مصر وسوريا، إلا أن بزوغ فجرهم السياسي قد تزامن مع ظهور تحدٍ سياسي آخر تمثل في تصاعد تهديدات التتار للقيادة الإسلامية في المنطقة. ويوضح المؤلف كيف نجح التتار في تحطيم عرش الخلافة العباسية في بغداد عام ١٢٥٨، وكيف وفق الماليك في الحفاظ على إرث صلاح الدين في فلسطين، وكيف بمحوا في طرد الفرنج من الشرق العربي عام ١٢٩١ وأعادوا سيادة الدولة الإسلامية على الأرض السليبة.

وبذلك يخلص المؤلف إلى أن هناك ثمة رباط جوهري بين انتصارات المسلمين وهزائمهم على مر الدهور والأزمان، وتبلُّر معلم هذا الرباط في درجة التراكم المسلمين أنفسهم بقيم الدين الإسلامي وثوابت عقيدة التوحيد. فتمسکهم بالصراط المستقيم يقود إلى النصر والخلافة في الأرض، وبعدهم عنه يؤدي إلى الهزيمة والفساد في الأرض والخسران. إذ أن الفكرة الإسلامية الجامحة المانعة "هي الوسيلة المثلثى-[من وجهة نظر المؤلف]- لتحشيد وتعبئة الطاقات لتحرير أي أرض مسلمة".<sup>١٣</sup>

### **فلسطين بين تأمر المستعمر الأوروبي وصراع الهوية والتحرير**

الرابع: يمثل هذا المحور الفصل الأخير الذي أطلق عليه المؤلف "التجربة الإسلامية الحديثة والمعاصرة في فلسطين"<sup>١٤</sup>، مهدأً له بعرض تاريخي موجز عن وضع فلسطين في ظل سيادة الحكم العثماني. ثم بعد ذلك كرس جهده لسرد حلقات المؤامرة التي أفضت إلى إعلان وعد بلفور عام ١٩١٧، وإعطاء اليهود وطنًا دائمًا على أرض فلسطين لاستيعاب جموعهم المبعثرة في أرجاء العمورة، وإقليمًا ينصبون عليه قواعد دولتهم

١٣ الطريق إلى القدس، ص ١٢٨.

١٤ الطريق إلى القدس، ص ٧٤.

الصهيونية. وتحت مظلة هذا الوعد الذي أشرف على تنفيذه قادة الاحتلال البريطاني ارتفع عدد اليهود من ٥٥ إلى ٦٥٠ ألفاً بعد ثلاثة عقود من تاريخ إبراهيم، وعندما اكتملت حلقات اللعبة السياسية، أُعلن قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين. وفي ضوء هذه المستجدات السياسية يستعرض المؤلف بأسلوب علمي حلقات النضال الفلسطيني ضد الاحتلال الصهيوني وفق المراحل الآتية:

مرحلة الاحتلال البريطاني (١٩١٧-١٩٤٨)، ومرحلة المد القومي العربي (١٩٤٨-١٩٦٧)، ومرحلة الثورة الفلسطينية وتنامي المد الإسلامي (١٩٦٧-١٩٨٧)، ثم أخيراً يسلط ضوءاً ساطعاً على مرحلة الانتفاضة المباركة والتسوية السلمية (١٩٨٧-١٩٩٦). وفي المراحل الثلاث الأولى يكتشف الحديث عن النضال التحريري الذي مُورس تحت شعارات الاشتراكية والقومية العربية والعلمانية، إلا أنه يؤكّد أن حصاد هذا الإرث النضالي تجسد في عدد من المفازيم المتلاحقة التي قادت إلى الخنوع واللجوء إلى الحلول السلمية التي تنادي بتنازل اليهود الغاصبين عن جزء من الأرض المحتلة مقابل التعايش السلمي وبسط الأمن.

ومن خلال مناقشته لهذه المراحل الثلاث يعطي المؤلف عرضاً تحليلياً لتصاعد المد الإسلامي الذي أرسّت دعائمه جماعة القسام الجهادية، وأعطاه الأخوان المسلمون بعدها حركياً ومفهوماً أيديولوجياً أخذ شكله المؤسسي في حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، التي أصدرت ميثاقها الأساس في الثامن عشر من أغسطس ١٩٨٨، راهنة نفسها لتحرير فلسطين وإقامة دولة إسلامية على ميراث الأنبياء السليم. وحسب رأي المؤلف "ترى حماس أن فلسطين أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيمة، لا يصح التغريط بها أو بجزء منها أو التنازل عنها أو عن جزء منها، وأنه لا حل لقضية فلسطين إلا بالجهاد في سبيل الله، وأن العمل على تحريرها فرض عين على كل مسلم حيّثما كان".<sup>١٥</sup>

وبعد هذا المشهد "التآمري" يتقلّل الكاتب إلى الحديث عن المتغيرات السياسية التي طرأت على مراكز توازن القوى الدولية والإقليمية، وعلى الساحة النضالية وأدبيات الأنشطة

الفذائية على أرض فلسطين. ويُبادر الحديث في هذا الشأن بموافقة منظمة التحرير الفلسطينية (فتح) على مبدأ الحوار المباشر مع الولايات المتحدة، واعتراف زعيمها عرفات بدولة إسرائيل والقرارين ٢٤٢ و٣٣٨، ثم إعلان "التخلّي عن الإرهاب ونبذه بكافة صوره وأشكاله".<sup>١٦</sup>

ثم يُعرّج المؤلف إلى الحديث عن الضعف والوهن الذي اعتبرى الساحة العربية إثر الاجتياح العراقي للكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠، وكيف قادت هذه العملية الانتحارية إلى تدمير البنية العسكرية للعراق، وتهجير مئات الفلسطينيين من الكويت، وجعل الاقتصاد النفطي العربي رهين محسين: استثمارات البيوتات الرأسمالية في الغرب ومصروفات الجندي الأميركي وخلفائهم في الخليج العربي والسعوية.

وفي ظل هذا المناخ الاستسلامي يتقدّم المؤلف إلى الحديث عن أهيار الاتحاد السوفياتي وتحول ميزان القوى الدولي لمصلحة الولايات المتحدة الأمريكية، والنظام العالمي الجديد الذي نجح في عقد مؤتمر السلام العربي الإسرائيلي في مدريد في أكتوبر ١٩٩١، والذي تلته المفاوضات العربية الإسرائيلية المباشرة التي تبلّرت مفرداًها في إعلان اتفاق أوسلو في التاسع عشر من أغسطس ١٩٩٣.

ويرى مؤلف "الطريق إلى القدس" أن اتفاق أوسلو يمثل نقلة نوعية في تاريخ النضالي الفلسطيني ضد دولة الاحتلال الإسرائيلي، لأنّه أعطى الفلسطينيين حق إنشاء "حكم ذاتي" على بعض المناطق الفلسطينية وفق صلاحيات تنفيذية محدودة تمثل في خدمات الصحة والتعليم والإسكان والضرائب، بالإضافة إلى مكافحة الإرهاب ومحاربة الناشطين الإسلاميين الذين لا يؤمنون "مبدأ الأرض مقابل السلام".

يعتقد الدكتور محسن أن التوقيع على اتفاقية أوسلو قد افرغ الإرث النضالي لمنظمة فتح من محتواه، وجعل قادة المنظمة في تصدام مع قطاعات الشعب الفلسطيني المختلفة التي ترفض "مبدأ الأرض مقابل السلام" وتندّي بمواصلة المشوار النضالي الجهادي من أجل تحرير فلسطين والأراضي المقدسة. ثم يعتقد المؤلف الاتفاقية بمحنة أنها لم تأت بحلول عادلة

بشأن عدد من القضايا المصيرية مثل "مستقبل مدينة القدس، والتي يجمع الإسرئيليون على أنها عاصمتهم الأبدية غير القابلة للمساومة أو التنازل"، ومستقبل اللاجئين الفلسطينيين الذين يعيشون خارج فلسطين ويقدر تعدادهم بأربعة مليون نسمة، ومستقبل المستوطنات الإسرائيلية في الضفة والقطاع.

ومن وجهة نظر المؤلف أن مثل هذه الاتفاques الفوقيّة لا تأتي بنتائج إيجابية "مادامت الأرض المباركة المقدسة مغتصبة، وما دامت القدس محتلة والمسجد الأقصى أسيراً، وما دام المسلمون يؤمنون بحقهم في فلسطين. فإن الأمر يتتجاوز مجرد ضرب حماس أو حتى اقلاعها، لأن هناك من سيأتي من المسلمين والأجيال ليطالب بمحققه ويتبع الطريق، ولعل من مصلحة السلطة الفلسطينية تعزيز الوحدة الوطنية جدياً، وعدم الدخول في عمليات "التركيز" و"كسر العظام" مع التيار الإسلامي وأطراف المعارضة، خصوصاً وأن خصمها الإسرائيلي لا يزال يتصرف بغطرسة وصلف، ويتلکؤ في اتفاques حق من خلالها مكاسب كبرى، بينما لم يحصل الطرف الفلسطيني إلا على "فتات" يُقتَرّ الطرف الإسرائيلي حتى في إعطائها" (٢١٨-٢١٧). يبدو أن هذه العبارات التي اقتبسناها من أقوال المؤلف هي انعكاسات حقيقة لقناعات الشارع الفلسطيني المعارض وحلفائه في المنطقة، وللمبادئ الأساسية التي يجعل جنوة الصراع مستعرة على الرغم من التنازلات التي أبدتها القيادة الفلسطينية في ظل النظام العالمي الجديد وسنته المستفيدين من الدور البوليسي للولايات المتحدة الأمريكية في العالم.

ويمثل الجزء الثاني من هذا الفصل تقريراً تفصيلياً عن الدور الذي تصدت له حركة المقاومة الإسلامية (حماس) منذ تأسيسها عام ١٩٨٨ وإلى عام ١٩٩٦، والمبادئ الجهادية التي انطلقت منها، والتأييد الشعبي الذي حظيت به في الشارع الفلسطيني بعد أن تراجع القادة العلمانيون عن شعاراتهم الفدائية التي أسسوا عليها سندهم الجماهيري. وفي ذات الوقت يقدم الكاتب سجلاً حافلاً بأسماء بعض الشخصيات التي استشهدت في سبيل الحفاظ على تحرير الأرض أمثال المهندس يحيى عياش وأولئك الذين مازالوا يجاهدون بإيماناً بالمبادئ ونصرة للقضية أمثال الشيخ أحمد ياسين.

## ملاحظات عامة

وبعد هذا العرض التحليلي المفصل لكتاب "الطريق إلى القدس"، تبقى بعض الملاحظات العامة التي يمكننا أن نحملها فيما يلي:

**أولاً:** تمتاز هذه الدراسة بأنها جهد يمثل وجهة نظر إسلامية موضوعية تجاه التجربة الإسلامية التاريخية على أرض فلسطين. ويبدو أن هذه النظرة قد تشكلت وفق فهم المسلمين لهذه القضية ذات الجذور التاريخية والأبعاد العقدية، واستمدت منهجها البحثي من تراث المسلمين وهو يفهم الحضارية. وقد تجلت معالم هذا النهج في الفصل الأول الذي أسس وعاؤه المعرفي في ضوء الشواهد القرآنية التي جعلها المؤلف حكماً على صحة المرويات وأثارها، وهادياً لتقويم مسار حركة التاريخ البشري على أرض فلسطين. ومن ثم تبلّرت حصيلته في أن أرض فلسطين هي ميراث شرعى لحملة رسالة التوحيد من لدن آدم عليه السلام إلى أن بirth الله الأرض من عليها، والمسلمون الموحدون "حسب الفهم القرآني هم أحق الناس بأنبياء الله ورسله وميراثهم".<sup>١٧</sup>

ولا شك أن هذه الفرضية قد قادت المؤلف إلى جعل الالتزام بقيم التوحيد وثوابت الشرعي الإسلامي قاسماً مشتركاً لتشيّط حق الوارثين في تراث الأنبياء، ولتفعيل آليات "الحل الإسلامي المنشود لتحرير الأرض المباركة بتوسيع دائرة الصراع لتشمل المسلمين كافة المؤمنين بحقهم فيها، وعدم التفريط بأي جزء منها بوصفها أرضاً إسلامية مقدسة، وباعتبارها جزءاً من عقيدة المسلمين ووجودهم".<sup>١٨</sup>

**ثانياً:** يعدُّ الكتاب مرجعاً ميسراً للقراء كافة الذين يودون التعرف على تاريخ فلسطين وتجربتها الإسلامية. وأعمق شاهد على ذلك هو أن الطبعات الثلاث الأولى للكتاب قد نفذت نسخها من الأسواق في أقل من أربع سنوات، فضلاً عن ترجمة الكتاب إلى عدد من اللغات الحية.

**ثالثاً:** اعتمد المؤلف في عرضه للقضايا المحورية في مشوار الطريق إلى القدس على كم

١٧ الطريق إلى القدس، ص ١٧.

١٨ الطريق إلى القدس، ص ٥١.

مقدّر من المصادر التاريخية المرتبطة بتاريخ التجربة الإسلامية على أرض فلسطين. وجمع في الجزء الثاني من الفصل الأخير مادة حية عن تاريخ الإرث النضالي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، معتمداً في عرضه لحيثيات هذا الإرث على المعابين التي أجرتها مع نفر من قادة المقاومة الإسلامية وعلى مشاهداته وملاحظاته الخاصة بحجّة أنه واحد من الباحثين المختصين في هذا المجال والذين يؤمّنون بفاعلية الخل الإسلامي للقضية الفلسطينية. ومن ثم فإن هذا الجزء من الكتاب يمثل تاريخاً أصيلاً لقضية الصراع على أرض فلسطين، لأنّه دُوّن بقلم شاهد متخصص عاصر الأحداث ودوّنها بلسان حال العصر الذي تشكّلت فيه. وعليه سيقى هذا الجزء من كتاب "الطريق إلى القدس" سجلاً مهمّاً للمؤرخين وعلماء السياسة الذين شرعوا في توثيق إفرازات الصراع الحادث على أرض فلسطين، وحاولوا وما زالوا يحاولون إعطاء قراءات موضوعية لكيفية تصور المستقبل القادم على "أرض الميعاد" وموطن المسجد الأقصى.

رابعاً: لا تمنعنا هذه الجوانب الإيجابية التي أشرنا إليها أعلاه من استعراض بعض النقاط التي ربما تسهم في إثارة بعض القضايا الفلسفية والمنهجية المرتبطة بدراسة رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين إذا وجدت هذه النقاط حظاً في الطبعات القادمة، علمًا بأن الكتاب قدحظي بقبول واسع في المكتبة العربية.

أ. تحتاج هذه الدراسة القيمة إلى إطار نظري يهتم بتحليل التطورات التي طرأت على "مفهوم الدولة" وتدعيمها على آليات العمل السياسي والعسكري في فلسطين. وهذا الإطار النظري حسب مبلغ علمي يمكن أن يقوم بتحليل أركان الدولة الثلاثة المتمثلة في: الإقليم، والشعب، والسلطة العامة، وتحديد طبيعة العقد السياسي (البيعة) بين هذه الأطراف الثلاثة ذات المصالح المشتركة. ولاشك أن هذا المدخل سيقود الباحث إلى تحديد وضع فلسطين على خارطة الخلافة الإسلامية ودرجة قربها وبعدها وأهميتها من مركز صناعة القرار السياسي سواء كان ذلك في المدينة المنورة، دمشق، بغداد، القاهرة، أو استانبول، وإلى أي مدى تأثرت كينونة وضعها السياسي بعد أن فُككت أوصال الخلافة الإسلامية وتعددت مراكز اتخاذ القرار في العالم الإسلامي، وساد في الوقت نفسه "مفهوم الدولة القطرية" الذي

يتعارض مع كثير من القيم السياسية والعقدية التي أقرت في إطار دولة المخلافة. ولاشك أن هذا الجانب النظري سيدفع الباحث إلى إثارة عدد من التساؤلات المشروعة: هل سيظل مبدأ الجهاد من أجل تحرير أية أرض مسلمة فرض عين على كل المسلمين الذين يسكنون خارج حدود الدولة القطرية المعنية بالأمر؟ وما حقيقة رد فعل الأسرة الدولية إذا وجدت دعوة الجهاد استجابة من رعايا أكثر من دولة قطرية؟ وما الصعوبات العملية والتحديات التي ستواجهه تنفيذ مثل هذه التصورات النظرية على أرض الواقع؟ وهل ستكون الإجابة على مثل هذه التساؤلات بمثابة قراءات موضوعية حول مستقبل الصراع في المنطقة، وما الإشكالات العملية التي ستواجهه تنفيذ الحلول السلمية أو الجهادية الماثرة على الساحة السياسية سواء كان ذلك على أرض فلسطين أو خارج فلسطين.

ب. من خلال مطالعتي لكتاب الطريق إلى القدس يمكنني القول بأن جدلية الصراع (أو التدافع) بين قوى الحق والباطل الذي أسس عليها النقاش في بعض أجزاء هذا الكتاب لا تعطي قراءة حادة لبواحث الصراع الحقيقي على أرض الواقع، لأن الصراع في جملته كان محكوماً بطبيعة العلاقة الشائنة بين السلطة الروحية والسلطة الرمزية التي يصعب أن نصفها بالعصبة والبعد عن الأغراض السياسية والمصالح المادية، و ذلك بخلاف ما كان عليه الحال في عصور الأنبياء والرسل الذين تميّز خطابهم الرسالي بالطُّهر والترفع عن سقطات الفعل البشري. وانطلاقاً من هذه النقطة يمكن أن تُقيّم مفردات الأحداث التاريخية على أرض فلسطين في إطار القيم السياسية التي انطلقت منها السلطة الرمزية ودرجة قربها وطبيعة التزامها بقيم التكليف الرسالي.

ج. تحتاج الدراسة إلى بعض الخرائط والرسومات البيانية التي توضح التقسيمات الإدارية والموقع الجغرافي المهمة ومعدل النمو السكاني وحركة التهجير وإعادة التوطين المستمرة على أرض فلسطين بشقيها اليهودي والفلسطيني. نعم توجد بين ثنايا الكتاب خريطةان لكنهما من وجهة نظرى لا تقنيان بالغرض المطلوب وإن اخرجهما الفني لا يتناسب مع حجم هذا الكتاب القيم موضوعاً ومضموناً.

د. يلحظ القارئ الأكاديمي أن هذه الدراسة القيمة يجب أن تصدر بعرض نceği للأديبيات التي كُتبت حول هذا الموضوع من زوايا مختلفة، ووفق مصادر تاريخية تتعارض

مع المصادر التي أسسها عليها المؤلف عرضه وتحليله وتمييه للموضوع. وحيثنا في ذلك أن مثل هذه الدراسة يمكن أن تُعين الباحث المتخصص على تحديد نقاط الالقاء وعناصر الاختلاف بين النظرة الإسلامية لحركة التاريخ البشري على أرض فلسطين والنظرة العلمانية التي ترفض البعد الغيبي وتؤسس فرضياتها على البُعد التجريبي.

هـ. تحتاج الدراسة إلى خاتمة تقود القارئ إلى التائج الذي توصل إليها المؤلف من خلال رصده "المترابط للعلاقات وتحليله الموضوعي" لرصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين. ثم تُبرز الرؤية الإسلامية التي اعتمد عليها في توثيق فرضياته العلمية وتحليله الرصين للأحداث التاريخية وذلك من خلال ثلاثة أبعاد ممثلة في إرادة الله سبحانه وتعالى، والسنن الكونية، والفعل الإنساني.